

التفكير في الراهن العربي

كمال عبد اللطيف

مرّت سنوات عديدة على رياح الثورات العربية وأعاصيرها، بكل ما حملته من مكاسب وترثّب عنها من خيبات ومازق في أغلب البلدان العربية. وقد أن الأوان عند التفكير في الراهن العربي أن نتخلّص من ثنائية الثورات العربية والثورات المضادة، ونتّجه بدل المناكفات السهلة، المتمثلة في جمل من قبيل خروج الشارعين التونسي والسوداني، في الصباح، لمساندة كلٍ من الرئيس التونسي قيس سعيد وقائد الجيش السوداني عبد الفتاح البرهان، وخروجهما ثانية في المساء، للتذيد بالآخر، والمطالبة بالعودة إلى البرلمان في تونس، نقول أن الأوان للتخلّص ممّا ذكرنا، وأن نتجه إلى استخلاص دروس من كل ما وقع، ومن كل ما كنا ننتظر حصوله من الحراك الاجتماعي الذي زعزع أركان أنظمة سياسية عربية ودفع أخرى إلى القيام بممارسات وإعلان مواقف، بهدف محاصرة الحالة الثورية العربية ووقفها، خوفاً ممّا يمكن أن تلحقه بانظمتها من زلازل.

تتشابه الأوضاع العربية اليوم، سواء في بلدان الثورات أو في البلدان العربية الأخرى، وهي، في مجموعها ومن دون استثناء، تعيش حالات من الاندحار والتراجع عن المبادئ الكبرى التي ناضلت أجيال عربية من أجل بلوغها، نقصد بذلك مبادئ الاستقلال والحرية والدولة المدنية الديمقراطية... وما نغايبه اليوم من تحوّل قادة عرب كثيرين إلى مجرّد وكلاء تابعين ومنفذين لأستراتيجيات قوى إقليمية أو دولية، يدعو إلى قلقٍ كثير.

عمر كوش

يتكدّس آلاف المهاجرين في أبناما هذه على الحدود البيلاروسية البولندية، أملا في أن يجتازوها ويتابعوا طريقهم باتجاه دول أوروبا الغربية، لكنهم يواجهون مختلف الموانع والحواجز، وحتى العنف المفرط وإطلاق الرصاص، منعا لدخولهم أراضي بولندا، وياتوا محاصرين وعالقين على الحدود. لا تريد لهم سلطات بيلاروسيا البقاء على أراضيها، على الرغم من أنها سهّلت وصولهم إليها ونقلتهم إلى الحدود، وفي المقابل، لا تسمح لهم السلطات البولندية بالعبور إلى أراضيها، فنشرت آلاف الجنود، ونصبت أسلاكاً شائكة كي تمنعهم من اجتياز حدودها.

وتحولت مسألة التدرّف الجماعي للمهاجرين باتجاه الحدود البيلاروسية البولندية إلى أزمة سياسية حادة بين بولندا ومعها الاتحاد الأوروبي وبيلاروسيا، مدعومة من روسيا الاتحادية، حيث اعتبر مسؤولون أوروبيون أنها عملية منظمة ومقصودة، يُستخدم فيها المهاجرون سلاحا للنفيل من استقرار دول الاتحاد الأوروبي، ومن

دون الأخذ في الاعتبار معاناة المهاجرين وأوضاعهم الإنسانية، ويقودها رئيس

بيلاروسيا الكسندر لوكاشينكو، بوصفها جزءاً من «نهج غير إنساني على غرار نهج العصابت الذي يتبعه لوكاشينكو»، وأنها تأتي ردًا انتقاميا من العقوبات التي فرضتها دول الاتحاد الأوروبي على بيلاروسيا في يونيو/ حزيران 2021، على خلفية «الانتهاكات الجسيمة لحقوق الإنسان في بيلاروسيا»، التي قام بها نظام لوكاشينكو بحق المظاهرين الذين خرجوا إلى ساحات العاصمة مينسك وشوارعها احتجاجا على فوزه في الانتخابات المزعومة التي جرت في أغسطس/ آب 2020. وبالتالي، يريد لوكاشينكو توتيزاف مسألة المهاجرين واستغلالها لابتزاز الاتحاد الأوروبي، بغية رفع العقوبات المفروضة وفد عزلته من خلال الجلوس معه على طاولة الحوار. ووصل به الأمر إلى حدّ التهديد بقطع إمدادات الغاز الروسي إلى دول أوروبا، في حال فرضها عقوبات جديدة عليه بسبب الأزمة. توجّهت أصابع الاتهام الأوروبية، أيضاً، نحو الرئيس الروسي فلاديمير بوتين، بوصفه اللاعب الأساسي وراء هذه الأزمة،

ولعل تأمل ما يجري هنا وهناك في المشرق والمغرب العربيين يُظهر أن الأنظمة العربية تقوم اليوم بأدوار ترتبط أساساً بمصالح قوى أخرى، تاركةً مختلف الطموحات والأمال العربية جانبا.

ليست الثورات المضادة ما أوقف اندفاعة الثورات العربية، وعطلّ مبدأ تطبيق الشعارات التي تُغنى بها الشباب في كثير من ساحات المدن العربية، فالمسألة أَعقد من الثنائية التي أصبحت تجري على أكثر من لسان، ولا أتصوّر أن الذين يكرزونها كانوا يعتقدون أن الثورات العربية سنستقبل بالأحضان؛ كما لا أتصوّر أنهم يُغفلون مختلف أشكال التضامن التي نسجتها الأنظمة العربية المستبدّة مع بعضها... وإذا كان ما تبقى من حكام أنظمة الفساد التي تعثرت فيها الثورات لا يتردّدون في تقسيم أوطانهم، بل وفي بيعها، فإنّ الأنظمة الأخرى اختارت طواعيةً القيام بأدوار الوساطة بين القوى الاستعمارية ومجتمعاتها، وفي الحالات جميعها، تخفي العروبة ويخفي حلم التقدم العربي.

تحتاج عمليات تفكيك معضلات الحاضر العربي إلى منازلات ثورية عديدة، من أجل تكسير القيود التي تُشَلّ الطاقات والطموحات العربية، والذين اعتبروا أن الثورات المضادة هي سبب فشل الثورة في سورية، وهي سبب وقف الانفجارات المتأخرة في لبنان والجزائر والعراق، وأنها سبب التعثر الذي لحق الثورات في مصر وتونس والسودان، كما أنّها وراء مختلف المشكلات المتواصلة في كلّ من اليمن وليبيا، بتناسون الإشارة إلى أخطاء من أوصلتهم صناديق

” ما يحصل اليوم في العالم العربي مرتّب في سياق تاريخي معين، تتحكّم فيه انظمتنا ومجتمعاتنا ونخبنا النصيب الأول والأكبر من المسؤولة

“

الانتخابات إلى تدبير السياسات العامة، خلال مراحل ما بعد الثورة أو ما يُعرف بالمرحلة الانتقالية، في كل من تونس ومصر وليبيا والسودان. نتصوّر أن المسألة أَعقد من الثنائية الجارية اليوم في الإعلام العربي، إنها لا يمكن أن تُفسّر وحدها ما يحصل في بلدان الثورات، فالمسألة أَعقد من ثنائية تتخلّص من إشكالات الوضع العربي، لتمنح بعض الأنظمة سلطات تفوق حجمها، ولا تتناسب مع شروطها السياسية وأحوالها العامة. نتساءل ماذا يفيد الحديث اليوم عن ثورات حصلت، وثورات مضادة تحصل

مهاجرون عالقون بين الابتزاز والعداء

” الحلقة الأضعف في عالمنا الراهن هم المهاجرون وطالبو اللجوء، الهاريون من بلدان الحروب والكوارث والأزمات الدولية والإقليمية. ولعل الحلقة الأضعف في

“

عناصر من قواته وأجهزة أمنه من أجل دفع المهاجرين ونقلهم إلى الحدود البولندية. وهذه ليست المرة الأولى التي يجري فيها استغلال معاناة البشر، أطفالاً ونساء ورجالاً، واستخدام حياتهم كسلة للمتاجرة أو كسلاح في الحروب والصراعات والأزمات الدولية والإقليمية. ولعل الحلقة الأضعف في

بالعربية خشية أن يكون محل انتقادات من الجمهور العربي والفصائل الفلسطينية؛ وصادف البيان تعليقات إسرائيلية غاضبة، من نوعية «هل مسموح بقتل الجنود إذن؟»، «أتدّم لم تدبئوا إطلاقا عمليات قتل الجنود ولا العمليات ضد مستوطني الضفة الغربية»، «لماذا يصعب عليك إدانة ما حدث بصورة لا تحتمل التأويل، لماذا تستخدم هذه الصياغة الغامضة؟»، فضلا عن عشرات التعليقات الأخرى التي لم يات البيان على هوى أصحابها.

وعلى الرغم من ذلك، أدّى البيان، من وجهة نظر أعضاء التحالف الحكومي، الغرض منه؛ حيث حملته على النحو الذي يجعل الموضوع يمر من دون الوقوف كثيرا أمام الغاظة المطاطة، وتوجّه مؤيديها في مقابل ذلك إلى المعارضة عامة، «للكود» خصوصا، بقولهم إنهم يرقصون على جثث الضحايا من أجل مكاسب سياسية. وفي السياق نفسه، تقدّمت القائمة العربية بدعوى تشهير ضد القناة 13 الإسرائيلية، مطالبة بتعويض 300 ألف شيكل، بسبب تقرير بثته القناة يربط بين القائمة العربية وحركة حماس، واعتبرت ذلك تحريضا ضد القائمة وأعضائها.

ترتبط ملاحظة ثانية بالجندي المقتول؛ إليياهو كاي (26 عاما)، يهودي هاجر من جنوب أفريقيا إلى فلسطين المحتلة، ثم

عباس؛ فقد طلبت المعارضة، وفي مقدمتها حزب الليكود، من القائمة إصدار بيان لا لبس فيه، وخال من أي تحفظات، لإدانة هذا العمل الإرهابي (حسب لفظة حزب الليكود في حسابه في «تويتر»)، فأصدر عباس بيانا بالعبرية، (على صفحته في «تويتر»)، جاء فيه «طوال عقود مضت، دانت القائمة العربية إلحاق الأذى بالأبرياء من كلا الجانبين، وعملت على منع ذلك، خصوصا حينما يتعلق الأمر بالمندنين الأبرياء. ولطالما دعت القائمة العربية إلى الحفاظ على قدسية الحياة، وتجنب أيّ من أشكال العنف، والسعي إلى العيش معا في سلام وأمن وشراكة ونسامح، ولا يستطيع الليكود أن يقدّم للقائمة ولا لخصور عباس وعظا أخلاقيا».

لم يات بيان منصور عباس على النحو الذي طالب به «الليكود»، فلغته قابلة للتأويل وحمالة أوجه، وهو ما كان يريده حزب الليكود فعليا، حتى يستخدم ذلك في حملته ضد استمرار الحكومة، بدعوى تحالفها مع مؤيدي «الإرهاب»، مثلما اعتادت المعارضة و«الليكود» ترويجه ضد القائمة العربية. وطبقا لرئيس تحرير الأخبار في راديو الناس، والمحلل في القناة 12 الإسرائيلية، محمد مجادلة، أصدرت القائمة العربية هذا الإعلان بالعبرية فقط، موجها إلى الجمهور اليهودي، ولم يصدر

عالمنا الراهن هم المهاجرون وطالبو اللجوء، الهاريون من بلدان الحروب والكوارث والأزمات في كل من سورية والعراق اليمن وأفغانستان وسواها، حيث تستغل أنظمة سياسية عديدة ورقة اللاجئين والمهاجرين الهاريين من أوضاعهم الكارثية التي لا تطاق في بلدانهم. وقد وجد نظام لوكاشينكو، ومن خلفه نظام بوتين، ما يستغله في معاناة المهاجرين الحالمين بالخلاص من أوضاعهم المساوية في تلك الدول، وراح يستخدمهم وقودا في مواجهته مع الدول الغربية التي لم تلتفت بدورها إلى الجانبين، الإنساني والحقوقى، لمسألة المهاجرين وطالبي اللجوء، ولا إلى الأسباب التي دفعتهم إلى المغامرة بحيواتهم، وتعاملت معهم بوصفهم خطراً يهدّد استقرارها، وعدواً يجب التغلب عليه وحرره، فيما لم يخف مسؤولون أوروبيون تفصيلهم موت المهاجرين على أن يسمح لهم بدخول دول أوروبا الغربية، فضلا عن العنف المنظم الذي تستخدمه أجهزة بعض هذه الدول بغية طرد المهاجرين، وأزهقت أرواح عدد منهم على حدود بولندا التي تعاملت معهم كأنهم غزاة يهددون باجتياحها

(كاتب سوري في إسطنبول)

أن يفرضه، وتدعمه فيه الولايات المتحدة والدول الغربية، وتلحق بهم أخيرا أنظمة عربية اختارت التطبيع مع دولة الاحتلال. وعلى الرغم من أن الشعوب العربية لا تزال تحتفظ بموقفها الداعم للحق الفلسطيني، والرافض للاحتلال، والمدرك بأن المشكلة، في الأساس، ترتبط بوجود الاحتلال وليس مقاومته، إلا أن ذلك لم يمنع من وجود أصوات عربية شادة تنهم من يقاوم المحتل بالإرهاب وتتماهى مع موقف الاحتلال والغرب. إنها تمثل البؤس بعينه، وهي انسلاخ عن الهوية العربية، وعن أسس قواعد العقل والمواثيق الإنسانية التي تبسط الحق لصاحب الأرض المحتلة بأن يدافع عنها.

ترتبط ملاحظة ثالثة بقرار بريطانيا الذي اعتبر حركة حماس إرهابية؛ وهو موقف ليس جديدا على بريطانيا صاحبة الوعد المشؤوم، خصوصا وأن المقاومة الفلسطينية عامة، وليس «حماس» وحدها، تحرص، منذ سنوات طويلة، على استهداف الجنود الإسرائيليين فحسب، لتبقى محافظة على صورتها الأخلاقية، متجاوزة بذلك تلك المعضلة التي ربما كانت تؤثر في شعبيتها في الحواضر العربية، أو تسحب من رصيد احترام غربيين كثيرين لها، حتى وإن لم يستطيعوا التعبير عن ذلك، حين كانت تنفذ التفجيرات في العمق الإسرائيلي.

(أستاذ جامعي مصري)

■ مكتب بيروت
بيروت ـ الجزيرة ـ شارع باستور ـ بناية 33 west end
هاقفة: 009611442047 - 009611567794
البريد الإلكتروني: info@alaraby.co.uk
Email: info@alaraby.co.uk
الاشتراكات: subscriptions@alaraby.co.uk
هاقفة: +97440190635
جوال: +97450059977
للإتصالات: alaraby.co.uk/ads

■ المكاتب
المكتب الرئيسي، لندن
Unit5, Central Park, Central Way, London, NW 10 7FY
Tel: 00442071480366
■ مكتب الدوحة
الدوحة ـ الدقنة ـ برج الفردان ـ الطابق العاشر ـ
هاقفة: 0097440190600

■ نائب رئيس التحرير **حسام كنفاني**
■ مدير التحرير **ارست خوري**
■ المدير الفني **إسلام منعم**
■ السياسة **جوانة فريحات**
■ الاقتصاد **مصطفى عبد السلام**
■ الثقافة **جمانة درويش**
■ منوعات **ليال حداد**
■ الرباب **معن البياري**
■ المجتمع **يوسف حاج علي**
■ الرياضة **نيك التلياني**
■ تحقيقات **محمد عزام**
■ مراسلون **نزار قنديل**

العربي الجديد
www.alaraby.co.uk



تصدر عن شركة فضاءات ميديا ليميتد (Fadaat Media Ltd)